مسئولية المرأة

في أعمال الخدمة الاجتماعية

بقلم السيدة زاهية مرزوق

كثيرا ماطالبت المرأة المصرية بحقوقها المدنية والاجتماعية والسياسية، وكثيرا ما كافحت وناضلت لانتزاع هذه الحقوق من الرجل ، ولكنها نسيت أن تعد نفسها الاعداد الصحيح الذى يمكنها من نيل هذه الحقوق بدون نضال أو كفاح . حقيقة أننا كمصريات لنا حقوق يجب أن ننالها ولكن فى الوقت نفسه علينا واجبات يجب أن نؤديها، وفى رأيي أنه لا يمكننا رفع صوتنا للمطالبة بهذه الحقوق قبل أن نقوم بتأدية هذه الواجبات . وواجب المرأة بسيط فى ظاهره خطير فى باطنه . بسيط لأنه يشغل حيزا صغيرا من الحياة ، وخطير لأن عليه يتوقف كيان الأمة ومستقبلها . على المرأة أولا أن تمد الأمة بأبناء صالحين قادرين على الجهاد فى الحياة ، والتغلب على الشدائد والكفاح فى سبيل إسعاد الأمة وانهاضها ، وهذه مسئولية استهترنا بها مع الأسف بعضنا وأهملها البعض الآخر ، فكانت النتيجة أن أخرجنا شبابا عاطلا يعيش عالة على الأمة والمجتمع .

على الأم أن تعرف كيف تدير مملكتها الصغيرة بكل حكمة وسداد ، عليها أن تضع لها القوانين العادلة وتغرس العادات الصالحة فى أفراد تلك الأمة الصغيرة التى يتكون من مثيلاتها مجموع الأمة الكبرى .

ولا تظنن إحداكن — سيداتى وآنساتى — أن الخدمة الاجتماعية معناها ترك المرأة لمنزلها وأولادها وخروجها إلى الميدان الاجتماعى والعمل فى الجمعيات الخيرية المختلفة ، لا ، وإنما الخدمة الاجتماعية الحقيقية هى ما تقوم به المرأة فى محيطها الضيق . وإنى أعتقد أن قيام المرأة بواجبها الأول على وجه الكمال ، لهو فى حد ذاته أهم خدمة اجتماعية يمكنها أن تؤديها لمجموع الأمة . فان قمت يا سيدتى بهذا الواجب فى بيتك بين الخدم وبين أولادك وزوجك وأقاربك وجيرانك ومعارفك، لأمكنك أن تحلى مشاكل كثيرة لو تراكمت لأصبحت مجموعة من المشاكل الاجتماعية المعقدة .

وكثير من الناس من يتوهم أن الخدمة الاجتماعية تنحصر فى إعطاء المال للسائل أو الطعام للجائع ، والحقيقة أن الخدمة الاجتماعية عمل فنى دقيق يتطلب الجهد أكثر مما يتطلب المال والعلم، أكثر مما يتطلب العطف والحنان . فكل سائل يجب ألا يعطى ما يسأل بدون بحث يحدد نوع المساعدة التى يحتاج إليها ومقدار أثرها فى تقويم حياته . والا فما فائدة القرش الذى يزول أثره بمجرد صرفه، ويترك صاحبه فى احتياج إلى غيره؟ وقد يدهش البعض

إذا علم أن الإحسان فى بعض الأحيان قد يكون ذا أثر سيئ فى المحسن اليه، وذلك كما حدث فى حكاية الرجل الغنى الذى اعتاد الإحسان إلى أحد المتسولين فترة طويلة من الزمن ، مما جعل هذا المتسول يركن فى عيشته الى هذا الرزق المستديم ، فما طرأ على المحسن ما حال دون استمرار الإحسان . توجه اليه المتسول فى غضب شديد وتهديد قائلا له : انك عودتنى الاحسان المتواصل فعودتنى الكسل والاتكال على الغير ، فلولا ماغمرتنى به من عطف فى بادئ الأمر لاضطررت لإيجاد عمل أقتات منه ، وقد أفسدت على حياتى وأعجزتنى عن كل شىء إلا السؤال ، فواجب عليك ان تحمل نتيجة عملك وتتكفل بالصرف على الى أن اموت . واضطر الرجل تحت ضغط المتسول وتهديداته ان يتكفل به ما بقى فى حياته .

وإذا قام كل منا بعمله الخيرى على انفراد بدون النظر لمجهود الآخرين وبدون مراعاة لناحية البر التى يميل اليها أو التى تمليها عليه الظروف فى دائرته ، لما أمكن تنظيم تلك الأعمال ولا إظهار أثرها فى المجتمع . فتوحيد المجهود وتنظيم الأعمال البر ووضعها على أساس فنى صحيح ، أنشئت الجمعيات الخيرية وقامت بمساعدتها الاجتماعية فى النواحى المختلفة بحيث اختصت كل جمعية بالناحية التى يميل اليها مؤسسوها .

والخدمات التى يمكن أن يساهم كل منا فى تأديتها للمجتمع كثيرة ومتشعبة . ويجب قبل البدء فى المساهمة فيها بطريق مباشر أو غير مباشر فهم أغراضها والقواعد التى تقوم عليها . فهناك الخدمة الاجتماعية للعائلات الفقيرة ، وبحث حالة كل أسرة على حدة ومعرفة نوع احتياجها ومقداره ، وهل تكفى المساعدة المادية المؤقتة أم يجب البحث عن عمل لرب الأسرة أو للأفراد القادرين منها ، كما يجب أن تمنح الأطفال عناية خاصة فتبحث حالتهم التعليمية وهل حرموا من التعليم نتيجة لفقر الأسرة فتبحث فى علاج هذه الأمور ، كما يوجه كل شخص فى الأسرة إلى الوجهة التى تلائمه .

وهناك الخدمة الاجتماعية الطبية فى المستشفيات وخارجها . وهذا النوع من الخدمة الاجتماعية لا يقصد منه التمريض فقط بل العمل على ربط العلاج الطبى بالمشاكل الاجتماعية وحلها ليسهل على المريض إتمام علاجه وتتم حالته حتى لا يعاوده المرض . وهى تشمل الترفيه عن الأطفال المرضى والشيوخ المسنين بجميع أنواع التسلية لتخفيف آلام المرض والشيخوخة عليهم . وهذه الخدمات الطبية تختلف طبعا باختلاف نوع المرض وسن المرضى فالخدمة الاجتماعية مع مرضى السل تختلف عن الخدمة الاجتماعية مع مرضى الرمد وعن الخدمة الاجتماعية مع مرضى الأمراض السرية وهكذا .

وهناك الخدمة الاجتماعية للأطفال ، ففى الملاجئ مثلا ، يمكن المساعدة فى تسلية الأطفال اللاجئين وتمضية أوقات فراغهم ، وكذلك تمكن مساعدة الملجأ فى إيجاد طريق للتخرجين منه وتتبع حالاتهم بعد التخرج ، وفى مراكز رعاية الطفل ودور الحضانة يمكن القيام بخدمات للأطفال لا تحصى .

وهناك الخدمة الاجتماعية العمالية وخصوصا فى المصانع التى تعمل فيها النساء، فيمكن العمل على ضمان عدم ارهاق العاملات بكثرة ساعات العمل مع قلة الأجور، ويمكن مساعدة العاملات المتعبات بتوفير طعام صالح ورخيص لهن . كذلك يمكن العمل على ايجاد دار لإيواء أطفال العاملات أثناء تغيبهن فى عملهن بدلا من تركهم فى الشوارع يصابون بالأمراض ويختلطون بالأشرار ، ويمكن أيضا المساعدة فى عمل رحلات رخيصة لتمضية أوقات العاملات فى الإجازات وغيرها .

وهناك الخدمة الاجتماعية بين الفتيات فى الأحياء الفقيرة بإنشاء محلات لهن يتعلمن فيها رقى الاخلاق وتهذيب الذوق وخير الطرق لتمضية أوقات الفراغ ، ويمكن كذلك الاتصال بمنازلهن لبحث البيئة التى يعشن فيها ومساعدتهن بالارشاد الى وسائل ترقيتها . ويمكن أيضا إيجاد مكان لإيواء الفتيات المشتغلات البعيدات عن أهلهن حتى يكون ذلك ضمانا لصيانة أخلاقهن وإبعادا لهن عن الفساد .

وهناك الخدمة الاجتماعية وقت الحروب، ولا يقصد بذلك العمل فى المستشفيات ومراكز الإسعاف فقط ، بل الجزء الأكبر منها يختص بالخدمة الاجتماعية بين الجنود فى الميدان ، وذلك الترفيه عنهم بإرسال بعض الكماليات اليهم كالكتب والمجلات والسجاير وغير ذلك مما يخفف عنهم بعض ما يقاسونه من التعب والوحشة . وهناك ناحية مهمة جدا وهى مواساة عائلات الجنود المصابين أو المتوفين وتخفيف وقع مصابهم عليهم بتقديم المساعدة التى يحتاجون اليها . أما المتاعب الاقتصادية التى تنشأ عن الحروب كارتفاع أسعار المعيشة والتعطل عن العمل وغير ذلك فيمكن العمل على تخفيف نتائجها .

وهناك الخدمة الاجتماعية فى الجمعيات الخيرية المختلفة، فالعمل فى هذه الجمعيات يتطلب مجهودا وخبرة فنية بنواحى الخدمات الاجتماعية التى بنيت عليها أغراض الجمعية ، فضلا عن الأعمال الادارية وتنظيم الاجتماعات وإقامة الحفلات لجمع المال والاشراف على المصروفات وغير ذلك.

يتضح لكن مما تقدم أن الخدمات الاجتماعية ليست من السهولة بحيث يتصورها كثير من الناس ، وإنما هى فن دقيق محتاج الى دراسة والى تدريب عملى طويل . ولذلك أنشأت مدرسة الخدمة الاجتماعية بالقاهرة دراسة نهارية للسيدات والآنسات المتطوعات اللاتى يرغبن فى أداء هذا الواجب نحو أمتهن . وسوف يكون المجال متسعا لتبادل الآراء والأفكار والنظريات العلمية عن الميادين المختلفة للخدمة الاجتماعية كما سيطبق العلم على العمل بزيارة المنشئات والجمعيات الخيرية المشتغلة بالخدمة الاجتماعية .

والأمل شديد فى أن يزداد أقبال سيدات مصر وفتياتها على هذا الميدان البكر فى هذه البلاد حتى تصبح لديهن المقدرة العملية والفنية عن طريق دراستهن على تحقيق الغرض المنشود على الوجه الأكمل.

والله يوفقنا جميعا إلى ما فيه الخير والسلام .

زاهية مرزوق